



www.alkashif.org

مركز الكاشف للمتابعة والدراسات الإستراتيجية

الهزيمة البريطانية في الجنوب

و "إستراتيجية" بوش غير الأكيدة في العراق :

أنطوني كوردسمان

كرسي أرلغ بروك في الإستراتيجية

٢١ شباط ٢٠٠٧

مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية



ترجمة: مركز الكاشف للمتابعة والدراسات الإستراتيجية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة العدد:

في هذا العدد ترجمة لتقييم إستراتيجي مهم منشور في موقع مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية، والذي يتناول تحليل وتقييم خطة زيادة عدد القوات الأمريكية في العراق. الكاتب هو أنطوني كوردسمان الخبير العسكري والأمني المعروف، والتي تعتبر دراساته مصدراً ذات مصداقية يعتمد عليها الباحثون في المراكز البحثية الأخرى، وهو كثير الكتابة، ويقوم مركز الكاشف وباستمرار بترجمة ملخص أهم دراساته والتي عادة ما تكون مطولة ومملوءة بالبيانات والمنحنيات والأشكال والإحصائيات. وهو هنا يشير الى الدراسة المنشورة في موقع معهد واشنطن والتي ترجمت في العدد الثالث بعد المائة من هذه السلسلة وعنوانها: **الهدوء الذي يسبق العاصفة**، والتي تنتبأ بنشوب الحرب الأهلية الطاحنة بين القوى الشيعية المختلفة بعد الإنسحاب البريطاني من البصرة. يؤيد السيد أنطوني كوردسمان إستنتاجات هذه الدراسة المعمقة، ويتوقع إنزلاق العراق الى الحرب الأهلية الشاملة، فيما اذا فشلت خطة الرئيس بوش القاضية بزيادة عدد القوات الأمريكية في بغداد. موضوع هذا العدد له علاقة مباشرة بموضوع العدد السابق (١٢٠) من هذه السلسلة وعنوانه: **الفرصة الأخيرة في العراق**، وكما هو واضح هناك تقارب ولربما تطابق في التقييمين الواردين في هذين العددين. ولكي تكتمل الصورة أكثر يجب وضع التقييم الوارد في العدد (١١٣) وعنوانه: **العقل الإستراتيجي للمحافظين الجدد يقيم نتائج سياسة زيادة عدد القوات الأمريكية في العراق بعين الاعتبار والمقارنة**. موضوع هذه التقييمات من الأمور التي تهم صنّاع القرار في العراق لما له من علاقة وتأثير كبيرين على مستقبل الأحداث في العراق وإحتمال نشوب الحرب الأهلية الشاملة فيه.

إن الأمور في العراق قد تتدهور إلى درجة لا يمكن معها "لأقل الخيارات سوءاً" المتوفرة حالياً أن تسمح للولايات المتحدة بتحقيق هذه الأهداف

إن الكلفة المحسوسة للغزو الذي قاده الولايات المتحدة والاحتلال أصبحت ، ببساطة ، عالية جداً من وجهات النظر المحلية (ومعظم إستطلاعات الرأي في أوروبا وبقية العالم)

لقد فقد البريطانيون عملياً أية فرصة لتشكيل بصرة علمانية ووطنية في صيف ٢٠٠٣، وهزيمة الولايات المتحدة لميليشيات الصدر في آذار ونيسان ٢٠٠٤ لم تمتد إلى الجنوب الشرقي ومنطقة البصرة أبداً

وكما أشار كل من ميشيل نايت و إد وليامز في تحليل رائع مؤخراً لمعهد واشنطن، لقد فاز المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق و الصدريين و الدعوة و الإسلاميين الشيعة الآخرين ب ٣٨ من ٤١ مقعداً في الانتخابات في البصرة في كانون ثان ٢٠٠٥ و ٣٥ من أصل ٤١ مقعداً في ميسان فأصبحت البصرة تحت سيطرة إسلاميين شيعة فاسدين في كانون الثاني . لقد خسر البريطانيون الجنوب بشكل حاسم

غير أن قوات الصدر قد أعادت تواجدها في البصرة وميسان في صيف ٢٠٠٥ مع إستمرار التأثير الإيراني (وربما

مصحوباً بنقل الأسلحة والمتفجرات شديدة الانفجار)

لقد أصبحت الشرطة العراقية في مناطق مثل البصرة جزءاً آخرًا من المشكلة بدلاً من أن تكون جزءاً من الحل ، وذلك بقيامها بعمليات بوليسية حاسمة ضد السنة

كما أصبح المعتدلون والعلمايون الشيعة تحت التهديد المتزايد والدائم ، بينما أصبحت الجريمة والفساد تؤثر على كل مناحي الصناعة النفطية العراقية والتصدير في الجنوب مما يضيف خليطاً من المجاميع الشبيهة بالمافيا وضباط شرطة مجرمين وعناصر إسلامية شيعية فاسدين للمعادلة

وعملياً هم على يقين من إن تأثيرهم سيكون أقل عندما تنسحب القوات البريطانية ، وستشتعل دورة جديدة من العنف الطائفي والعنقي وقتال داخل الفصائل الشيعية نفسها

قد لا تكون بريطانيا هزمت بالمعنى العسكري المحض ، ولكنها خسرت منذ زمن طويل بالمعنى السياسي, إذا ما كانت كلمة "النصر" تعني تأمين شكل من الوحدة الوطنية للجنوب الشرقي

هناك تطهير عرقي مستمر في البصرة منذ أكثر من سنتين ، وصار الجنوب مشهداً للعنف, أقل شكلاً من أشكال الحرب الأهلية بقليل, في محاولة للسيطرة على الفراغ السياسي والاقتصادي وهو لا يقل أهمية عن العنف المكشوف في الانبار والبصرة

الشيعة يسيطرون و التأثير الإيراني قد يتوسع والمزيد من السنة والمسيحيين والاقليات الأخرى تغادر المنطقة

الإجراء البريطاني سيعني المزيد من الضغط باتجاه الفيدرالية والإفصال ، ولكن القتال على السلطة المحلية من المحتمل أن يكون بين الفئات الشيعية أكثر منه بين الجهات الأخرى

ومن السخرية أن الهزيمة البريطانية وتقليل القطعات قد يكون لها نفس التأثير الواقعي للعمليات العسكرية الأمريكية في بغداد

في الواقع ، إن كلاً من المملكة المتحدة والولايات المتحدة قد توقف العمل على توسيع تأثير الشيعة بكل الطرق المختلفة

لحد الآن ، على أي حال ، لم تظهر الولايات المتحدة أن لها خطة واضحة للسيطرة على بغداد بالموارد الأمريكية والعراقية التي وفرتها لها ، كما لم توصف لنا خطة عملياتية واقعية للتحرك من "التطهير" إلى "المسك" و "البناء" . لقد فشلت تماماً في وضع إستراتيجية وخطة عملياتية ذات أهمية للتعامل مع العراق كبلد, حتى لو نجحت في بغداد

والنتيجة النهائية قد تجعل القوات الأمريكية والعراقية تقاتل إلى جانب الشيعة في بغداد

إن تركيبة السلطة في الحكومة العراقية لها كل الأسباب لأن تحاول إستعمال القوة العدوانية الأمريكية لدعم السلطة

الشيعية وحرف المعركة لضرب المتمردين السنة والفئات العدائية الأخرى مع أقل ما يمكن من العمليات ضد الميليشيات الشيعية الرئيسية

إن الحكومة العراقية مسيطر عليها من قبل إئتلاف شيعي ممزق، ذو دوافع دينية قوية وتاريخ طويل من عدم الثقة بالولايات المتحدة والذي تنظر أحزابه الرئيسية (المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق والدعوة) إلى ميليشياتهم الشيعية وجهودها للسيطرة على البلد أمراً مشروعاً

إذا ما استطاع الشيعة في الحكومة تسريع إستراتيجية بوش الجديدة للسيطرة على بغداد وذلك بإضعاف الميليشيات الشيعية وبسيطرة الحكومة المركزية على جميع أحياء المدينة وبهزيمة القطاعات الأمريكية والعراقية للقوات السنية في المدنية ، فإنهم بذلك سيحصلون على نصر رئيسي

النتيجة النهائية ستبقى هيمنة الشيعة ومغادرة الأمريكان في نهاية الأمر ربما عاجلاً غير آجل وإن بدا أن الولايات المتحدة تنتصر

الحقيقة هي حتى لو أن القادة الشيعة أرادوا تقاسم السلطة ، فليس لهم إلا خيار هزيمة التمرد والحصول على قوة مهيمنة ، وتفرض عملياً نوعاً من التسوية ترغب غالبية السنة العيش معها

كما تبين آنفاً في التحليلات السابقة عن إستراتيجية بوش ، فإن سيناريو هيمنة الشيعة على العراق لا تعتبر "خسارة" بالنسبة لإدارة بوش والولايات المتحدة وحلفاءها من منظور سياسي واقعي متجهم

عراق منقسم تحت سيطرة الأحزاب الشيعية الدينية قد لا يكون مستقراً أو ديمقراطياً حقيقياً بالمعنى الذي تبحث عنه الولايات المتحدة منذ ٢٠٠٣ ، ولكن من منظور "واقعي" قد يكون أفضل من حمام الدم أو حرب أهلية مفتوحة

على أي حال ، إذا ما فشلت إستراتيجية إدارة بوش ، فعملياً جميع الخطط القادمة ستشكلها الحروب والصراعات على السلطة بين العراقيين أنفسهم حيث سيكون على الأمريكان الاستجابة للأحداث التي يشكلها كل من الأعداء "والحلفاء" على حد سواء

إن إحدى الدروس التي لا زال على كل من إدارة بوش ومختلف معارضي الولايات المتحدة ومنتقديها أن يتعلموها هي أنه بمستوى معين من الهزيمة ، فإن فاعلين آخرين سيسيطرون على الأحداث. إن المناقشات الدائرة في الولايات المتحدة الأمريكية اليوم عن الخطط والاستراتيجيات البديلة قد تصبح لا علاقة لها بالأحداث إلى حد كبير

الهزيمة البريطانية في الجنوب و

"إستراتيجية" بوش غير الأكيدة في

العراق :

"بقع زيت" , "لطخات حبر" أو على غير

هدى ؟

مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية -كرسي أرلغ
بروك في الاستراتيجية
أنطوني كوردسمان -كرسي أرلغ بروك في
الاستراتيجية

٢١ شباط ٢٠٠٧

- الهزيمة البريطانية على يد الإسلاميين الشيعة

- إستراتيجية بوش : هل هي إنعكاس للنتائج

الإستراتيجية للهزيمة البريطانية ؟

- الإشتباه بجعل بغداد مركزاً للجاذبية

- خيارات للإستجابة لإستراتيجية بوش الجديدة

- "الهزيمة" (أو "النصر") بواسطة الحكومة

العراقية

- مسألة الصدر

- المسألة السنية والكردية

- "خسارة" أثناء "الفوز" ؟ أم "فوز" أثناء "الخسارة" ؟

هناك العديد من التعاريف "للإستراتيجية" ، البعض منها يصعب تمييزه عملياً عن تعبير "التكتيكات" (الوسائل). وأفضل التعريفات القاموسية المستعملة ، على أي حال ، هو إن "الاستراتيجية" هي علم وفن إستخدام القوى السياسية والاقتصاد و النفسية (السيكولوجية) والعسكرية للأمة أو لمجموعة أمم لتقديم أقصى جهد ممكن لدعم السياسات المعتمدة في السلم والحرب .

وبناءً على هذا التعريف ، أو أي تعريف آخر ذو مغزى "للإستراتيجية" فإن إستراتيجية أمريكية ذات مغزى في العراق لا يمكنها ببساطة أن تركز على الفور في بغداد و بنفس الوقت تستمر في الجهود لمقاتلة التمرد في أكثر المناطق اضطراباً . إن إستراتيجية أمريكية ذات مغزى في العراق ينبغي أن تجمع كل الوسائل الضرورية لتحقيق هدف محدد وأن تكون لها مرحلة نهائية .

عملياً ، فإن أي شكل من الإجراءات الأمريكية يفضي إلى شكل من أشكال "النصر" يتطلب إيجاد إستراتيجية تسمح للولايات المتحدة بسحب معظم القوات الأمريكية من عراق يكون مستقراً بما فيه الكفاية لتقليل العنف الداخلي إلى مستويات منخفضة يمكن السيطرة عليها بواسطة القوات المحلية ، وتوفر الأمن لجيرانه و توجد وحدة سياسية واقتصادية كافية لتعمل وتتطور كدولة ، وتعددية كافية لضمان الحقوق الأساسية لفئاتها الطائفية والعرقية.

إن الأمور في العراق قد تتدهور إلى درجة لا يمكن معها "لأقل الخيارات سوءاً" المتوفرة حالياً أن تسمح للولايات المتحدة بتحقيق هذه الأهداف . من وجهة نظر حسية ، فإن "النصر" سيكون قد أصبح مستحيلاً لأن معظم الناس في العراق و المنطقة و العالمين العربي والإسلامي سينظرون إلى جهود الولايات المتحدة بوصفها فاشلة ومهزومة جزئياً حتى لو إستطاعت مغادرة العراق وهو دولة مستقرة وأمنة نسبياً في وقت ما في المستقبل . إن الكلفة المحسوسة للغزو الذي قادته الولايات المتحدة والاحتلال أصبحت ، ببساطة ، عالية جداً من وجهات النظر المحلية (ومعظم إستطلاعات الرأي في أوروبا وبقية العالم) .

الهزيمة البريطانية على يد الإسلاميين الشيعة

إن الإعلان البريطاني عن تقليل القوات في جنوب العراق يعكس مجموعة من الحقائق على الأرض، سيطرت على جنوب شرق العراق لأكثر من سنتين. كان جنوب شرق العراق لمدة طويلة تحت السيطرة الواقعية للمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق والفئات الصدرية. لقد فقد البريطانيون عملياً أية فرصة لتشكيل بصرة علمانية ووطنية في صيف ٢٠٠٣، وهزيمة الولايات المتحدة لميليشيات الصدر في آذار ونيسان ٢٦٠٠٤ لم تمتد إلى الجنوب الشرقي ومنطقة البصرة أبداً.

لقد فاز البريطانيون ببعض المناوشات التكتيكية في ميسان والبصرة في الفترة بين مايس - تشرين الثاني ٢٠٠٤، ولكن الانتصارات التكتيكية للعملية المسماة (تليك) على الصديريين لم توقف الإسلاميين من أن يحصلوا على المزيد من القوة السياسية المحلية والسيطرة على الأمن في المناطق المجاورة عندما لا تكون القطعات البريطانية حاضرة.

وكما أشار كل من ميشيل نايت و إد وليامز في تحليل رائع مؤخراً لمعهد واشنطن^(١)، لقد فاز المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق الصديريين و الدعوة والإسلاميين الشيعة الآخرين ب ٣٨ من ٤١ مقعداً في الانتخابات في البصرة في كانون ثان ٢٠٠٥ و ٣٥ من أصل ٤١ مقعداً في ميسان فأصبحت البصرة تحت سيطرة إسلاميين شيعة فاسدين في كانون الثاني. لقد خسر البريطانيون الجنوب بشكل حاسم - ينتج أكثر من ٩٠ % من عائدات الحكومة وفيه أكثر من ٧٠ % من احتياطي النفط الثابت - حسب تقارير سنتين مضت.

والأسوء، تحولت السياسات المحلية إلى فوضى عارمة بين الفئات التي لم يثبتت حتى ولاءها لأحزابها الوطنية ذاتها مع تصفية طائفية وعرقية شبه علنية وجريمة وفساد القوات العراقية التي يساعدها البريطانيون في التواجد في منطقة يقل فيها إنتشار الإسلاميين الشيعة. تقوم القوات البريطانية بين الحين والآخر بكنس فوضى الجريمة والعنف الناتجة عن القوى الأمنية العراقية، غير أن قوات الصدر قد أعادت تواجدتها في البصرة وميسان في صيف ٢٠٠٥ مع إستمرار التأثير الإيراني (وربما مصحوباً بنقل الأسلحة والمتفجرات شديدة الانفجار).

لقد أصبحت الشرطة العراقية في مناطق مثل البصرة جزءاً آخرًا من المشكلة بدلاً من أن تكون جزءاً من الحل، وذلك بقيامها بعمليات بوليسية حاسمة ضد السنة. الجهود البريطانية للتعامل مع هذا الأمر أدت إلى إرتفاع مستمر للهجمات الشيعية على القوات البريطانية، وبذلك تم وضع نهاية حاسمة للفهم البريطاني "الهادئ"، حيث إن القوات البريطانية لا تستطيع أن تعمل الآن في بعض المناطق إلا بدوريات مدرعة. وبالنسبة لجميع المقاصد المهمة، فإن البريطانيين - الذين خسروا على المستوى السياسي في وقت مبكر من عام ٢٠٠٥ - قد إنهزموا على المستوى العسكري ويقاثلون في مناطق "محرمة" في عدد من الأماكن منذ خريف عام ٢٠٠٥ فصاعداً.

(١) تمت ترجمة هذا الموضوع في العدد الثالث بعد المائة وعنوانه: الهدوء الذي يسبق العاصفة/ التجربة البريطانية في العراق الجنوبي.

لقد أدت إنتخابات كانون الثاني ٢٠٠٦ إلى جعل هذا الأمر أكثر سوءاً ، وذلك بإشغال المزيد من الصراعات المفتوحة والعنف داخل القوى الشيعية في ذي قار ، ميسان ، والبصرة مع إضافة الفئات العشائرية، والمنافس المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق والشرطة الصدرية إلى المعادلة . كما أصبح المعتدلون والعلمانيون الشيعة تحت التهديد المتزايد والدائم ، بينما أصبحت الجريمة والفساد تؤثر على كل مناحي الصناعة النفطية العراقية والتصدير في الجنوب مما يضيف خليطاً من المجاميع الشبيهة بالماфия وضباط شرطة مجرمين وعناصر إسلامية شيعية فاسدين للمعادلة .

إن إدعاءات البريطانيين بنقل المسؤولية إلى القوى الأمنية العراقية لما تبقى من ٢٠٠٦ لم تكن أكثر من إعترافاً "بالهزيمة بشرف" أو على الأقل غطاء سياسي فج .

إن النتيجة النهائية هي إن الجهود الأمنية البريطانية قد تحولت إلى مجرد محاولة لإصلاح الشرطة في البصرة وفرض شئ من النظام في المدينة . إن كلاً من عمليتي كورود في مابيس ٢٠٠٦ وعملية السندباد في تشرين الأول ٢٠٠٦ قد أوجدتا جهوداً بريطانية عراقية مشتركة لتوفير قدراً من النظام بطرق تحمل بصمات محاولة بوش الجديدة لفرض الأمن إلى حي بعد حي في بغداد .

إن أقصى ما يجب ، أو تستطيع إنجازه مثل هذه الجهود البريطانية هو إستعادة درجة عالية من السيطرة على شرطة البصرة عن طريق الأحزاب الشيعية التي تهيمن على الحكومة المركزية . لم يفعلوا شيئاً لمنع الهجمات على القوات البريطانية أو لجلب الأمن إلى مناطق خارج البصرة . وعملياً

هم على يقين من إن تأثيرهم سيكون أقل عندما تتسحب القوات البريطانية ، وستستغل دورة جديدة من العنف الطائفي والعرقى وقتال داخل الفصائل الشيعية نفسها .

قد لا تكون بريطانيا هزمت بالمعنى العسكري المحض ، ولكنها خسرت منذ زمن طويل بالمعنى السياسي، إذا ما كانت كلمة "النصر" تعني تأمين شكل من الوحدة الوطنية للجنوب الشرقي . هناك تطهير عرقي مستمر في البصرة منذ أكثر من سنتين ، وصار الجنوب مشهداً للعنف، أقل شكلاً من أشكال الحرب الأهلية بقليل، في محاولة للسيطرة على الفراغ السياسي والاقتصادي وهو لا يقل أهمية عن العنف المكشوف في الانبار والبصرة .

ونتيجة لذلك ، فإن التخفيضات البريطانية القادمة تعكس من عدة جوانب الحقيقة السياسية القائلة إن بريطانيا قد "خسرت" الجنوب منذ أكثر من سنة مضت . الشيعة يسيطرون و التأثير الإيراني قد يتوسع والمزيد من السنة والمسيحيين والاقليات الأخرى تغادر المنطقة . الإجراء البريطاني سيعني المزيد من الضغط باتجاه الفيدرالية والانفصال ، ولكن القتال على السلطة المحلية من المحتمل أن يكون بين الفئات الشيعية أكثر منه بين الجهات الأخرى .

إستراتيجية بوش : هل هي إنعكاس للنتائج

الإستراتيجية للهزيمة البريطانية ؟

ومن السخرية أن الهزيمة البريطانية وتقليل القطعات قد يكون لها نفس التأثير الواقعي للعمليات العسكرية الأمريكية في بغداد . إذا ما إستمرت الميليشيات الشيعية في الإضمحلال و إستمرت العمليات التي تقودها أمريكا بالتركيز على الأمن

الداخلي وهزيمة السنة ، فإن النتيجة النهائية لخلق هذه "البقع البيضاء" في بغداد ستكون تقوية سيطرة الشيعة على معظم المدينة والمحافظات ، ودفع السنة إلى مناطق منعزلة خارج المدينة .

في الواقع ، إن كلاً من المملكة المتحدة والولايات المتحدة قد توقف العمل على توسيع تأثير الشيعة بكل الطرق المختلفة .

كل الفئات العراقية ، بضمنها الحكومة المركزية ذات الهيمنة الشيعية ، تعلم إن الوقت عدو الأمريكان والبريطانيين في العراق كأية مجموعة متمردة أو ميليشيا . إن الولايات المتحدة تستطيع التحدث عن "حروب طويلة" ولكنها لا تمتلك هيكلًا سياسياً يرغب في ذلك ، وإن أخطاء الماضي لإدارة بوش قد عقدت هذه المشكلة إلى حد بعيد .

تعرف الفئات العراقية أن الولايات المتحدة قد تورطت في حرب إستنزاف حيث خلقت أخطاء الماضي هذه، مناخاً سياسياً تبدو الولايات المتحدة فيه أكثر ضعفاً تجاه الضغوط التي قد تجعلها تتسحب، أو تُحد من قدرتها على لعب دور رئيسي . إن سنة إضافية أخرى تبدو "طويلة" بالمقاييس السياسية الأمريكية الداخلية ، ولكن اللاعبين في العراق والمنطقة يستطيعون اللعب لسنوات . في الحقيقة ، عليهم فعلاً أن يستمروا لسنوات . إنهم يعيشون هناك ويعرفون إن فرصة الاستقرار الحقيقية لا يمكن إهمالها لعدة سنوات لتأتي من تلقاء نفسها.

الإشتباه بجعل بغداد مركزاً للجاذبية

مثلاً إشتبهت بريطانيا في إعتبار البصرة مركزاً محلياً للجاذبية ، فإن الإدارة الأمريكية قد عقدت هذه المشاكل بجعلها بغداد مركزاً للجاذبية في الصراع الوطني للسيطرة على الفراغ السياسي

والاقتصادي الذي يؤثر على جميع مفاصل البلاد . إن في تقرير مجموعة دراسة العراق الكثير من الضعف ، ولكنه لم يصحح ما يذكره المسؤولون الأمريكان في تقاريرهم بشأن أنماط العنف في العراق والذي قد يعكس أقل من عُشر الصراع الحقيقي ، وإن معظم هذا العنف خارج بغداد .

إن كسب السيطرة الأمنية على المدينة وخسارة ١١ مدينة رئيسية أخرى والمناطق الريفية لصالح الفئات العرقية والطائفية العراقية لا يعتبر نصراً بمنظور أية إستراتيجية ، إنه هزيمة . وكما ناقشنا ذلك آنفاً ، فإن المتطلبات الدنيا لإستراتيجية أمريكية ناجحة هي إستقرار نسبي وعراق آمن ، وليس سيطرة عسكرية أمريكية مؤقتة على بغداد .

لحد الآن ، على أي حال ، لم تُظهر الولايات المتحدة أن لها خطة واضحة للسيطرة على بغداد بالموارد الأمريكية والعراقية التي وفرتها لها ، كما لم توصف لنا خطة عملياتية واقعية للتحرك من "التطهير" إلى "المسك" و "البناء" . لقد فشلت تماماً في وضع إستراتيجية وخطة عملياتية ذات أهمية للتعامل مع العراق كبلد، حتى لو نجحت في بغداد.

خيارات للإستجابة لإستراتيجية بوش الجديدة

ونتيجة لذلك ، فإن الولايات المتحدة قد ظهرت كأنها تعامل معارضيها كأنهم لا خيار لهم لدحر الخطة الأمريكية الجديدة . من الواضح تماماً ، على أي حال ، إن لهؤلاء المعارضين مثل هذه الخيارات وإنهم قد يستطيعون تقليل احتمالات النجاح الأمريكي إلى أقل من الربع .

• يقوم المتمردون و/أو الميليشيات بسحب القوات الأمريكية والعراقية إلى أقاصي حدودهم وذلك لشمول منطقة بغداد الكبرى و يقومون بإجبارهم لتغطية المزيد ثم المزيد من المناطق، وذلك إما

- المتمرّدون و/أو الميليشيات تركّز على كسب السيطرة على الفراغ في بقية أنحاء العراق ، بينما يركّز الأمريكيان على بغداد ، ويحوّلون مركز الثقل بعيداً عن بغداد . يفعلون ذلك من خلال التخويف وأعمال عنف خفيفة المستوى وأشكال أخرى بسيطة من الصراع الذي تكسب فيه السيطرة على الفراغ السياسي والاقتصادي بينما يتجنبون فتح صراعات تكتيكية .
- إن إضمحلال الميليشيات الشيعية ، يحول المعركة بالتأكيد إلى المتمردين السنة ذوي الأيديولوجية والاندفاع ولا يتوقع منهم تبني إستراتيجية مماثلة . والنتيجة النهائية قد تجعل القوات الأمريكية والعراقية تقاثل إلى جانب الشيعة في بغداد .

"الهزيمة" (أو "النصر") بواسطة الحكومة العراقية

يبدو إن الخيار الأخير يصبح الأكثر احتمالاً ، وتتبع أهميته من إن الحكومة المركزية العراقية ليس لها نفس المصالح في خلق عراق علماني ديمقراطي موحد كما للولايات المتحدة. في الحقيقة ، إن تركيبة السلطة في الحكومة العراقية لها كل الأسباب لأن تحاول إستعمال القوة العدوانية الأمريكية لدعم السلطة الشيعية وحرف المعركة لضرب المتمردين السنة والفئات العدائية الأخرى مع أقل ما يمكن من العمليات ضد الميليشيات الشيعية الرئيسية .

إن الحكومة العراقية مسيطر عليها من قبل إنتلاف شيعي ممزق، ذو دوافع دينية قوية وتاريخ طويل من عدم الثقة بالولايات المتحدة والذي تنتظر أحزابه الرئيسية (المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق والدعوة) إلى ميليشياتهم الشيعية

- لإفراغ المناطق الأخرى من القوات الأمريكية والعراقية أو لإجبار الأمريكيان والعراقيين على أن يكونوا أضعف على الأرض من أن يغطّوا المدينة بكاملها . إنهم يضربون في الأماكن التي تضعف فيها القوات الأمريكية والعراقية . يستطيع الأمريكيان الفوز بسبع مناطق من عشرة في بغداد مع احتمال خسارتها .
- يبدو أن المتمردين و/أو الميليشيات في إضمحلال أو تمزق ولكنهم ينفذون هجمات متميزة تتجنب الأهداف العسكرية والأمنية وتركز على جهود المساعدات و المدنيين والعتبات المقدسة والشخصيات الدينية .
- إن ضرب المتمردين والميليشيات للقوات الأمريكية والعراقية خلال المرحلة الأولية من التقدم الأمريكي قد إستمر خلال المعركة لفترة من الزمن ثم بعد ذلك تفرّقوا إلى مناطق أخرى أو إختفوا . إنهم لا ينتظرون الأمريكيان .
- وبدلاً من ذلك ، صاروا يشنون هجمات دموية بارزة حسنة التخطيط على القوات الأمريكية و/أو يستعملون المتفجرات والأعمال الوحشية في المناطق "الأمنة" . لقد أصبح الوقت والتركيز على تأثير الدعم الأمريكي للحرب سلاحين رئيسيين .
- لقد سلّط المتمرّدون ضغطاً كافياً لحجز القوات الأمريكية والعراقية في بغداد بالوقت الذي غيروا فيه مناطقهم الرئيسية لمهاجمة الأهداف خارج المدينة . وبهذا ركّزوا على هجمات قليلة، جيدة التخطيط ذات رؤية واضحة ، مصممة لإحراز أكبر تأثير سياسي في الولايات المتحدة و/أو تفعل فعلها لإثارة التوترات الشيعية ضد السنة والعرب ضد الأكراد .

وجهدوها للسيطرة على البلد أمراً مشروعاً . إذا ما استطاع الشيعة في الحكومة تسريع إستراتيجية بوش الجديدة للسيطرة على بغداد وذلك بإضعاف الميليشيات الشيعية وبسيطرة الحكومة المركزية على جميع أحياء المدينة وبهزيمة القطعات الأمريكية والعراقية للقوات السنية في المدينة ، فإنهم بذلك سيحصلون على نصر رئيسي.

وبصح هذا، على وجه الخصوص، إذا ما ساعدت الولايات المتحدة على بناء قوى أمنية ذات سيطرة شيعية - كردية على العملية ، "والنصر" في بغداد سيقود إلى استمرار الدعم الأمريكي لهزيمة المقاومة السنية الرئيسية في المناطق المختلطة والمدن والبلدات ذات الغالبية السنية المسيطرة . النتيجة النهائية ستبقى هيمنة الشيعة ومغادرة الأمريكان في نهاية الأمر ربما عاجلاً غير آجل وإن بدا أن الولايات المتحدة تنتصر .

مسألة الصدر

الصدر رجل غريب وعجيب ، ولكنه لحد الآن مبتعداً عن ميليشياته ونادراً ما يعتمد على القوة . كل القادة الشيعة متنافسون فيما بينهم بدرجة ما . حزب الدعوة أضعف بكثير من المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق، وروابط الدعوة بالصدر رجحت كفة ميزانه مقابل قوة الفئة الرئيسية الأخرى . ومن الواضح إن الصدر يستطيع أن يكسب أكثر نسبياً في جهوده السلمية نحو السلطة عن طريق الدور السياسي والاقتصادي في الائتلاف الشيعي أكثر منه عن طريق قتال ميليشياته للقوات الأمريكية والعراقية المشتركة في بغداد .

بواجه الصدر مستقبلاً تكون فيه القوى الخارجية قد غادرت إلى حد كبير ، والسيستاني قد يصبح رجل

الأمس ، وشخصيات مثل الحكيم والمالكي قد تأخذ بالاضمحلال . إن دعم وتأيد الولايات المتحدة لقادة شيعة آخرين لخدمة أغراض الولايات المتحدة ، سيعني كذلك أن متنافسين مختلفين أو عاملين خطرين من ميليشيا جيش المهدي من غير الموالين له بصورة مباشرة، إما سيخسرون السلطة أو سينهزمون في اشتباكات مع القوات الأمريكية والعراقية وسيستفيد الصدر من هزيمتهم ويمكن أن يستغل تلك الهزيمة لمهاجمة الولايات المتحدة سياسياً بنفس الوقت .

المسألة السنية والكردية

إن في الحكومة العراقية مشاركة سنية ضعيفة مع مواصلة سنية واهية ، ومن غير الواضح أن يظهر قائد سني يستطيع التحدث باسم السنة وبدعم كاف لجعل مفاوضات التعايش والمصالحة فاعلة . الحقيقة هي حتى لو أن القادة الشيعة أرادوا تقاسم السلطة ، فليس لهم إلا خيار هزيمة التمرد والحصول على قوة مهيمنة ، وتفرض عملياً نوعاً من التسوية ترغب غالبية السنة العيش معها .

الفئة الكردية في الحكومة تخدم المصالح الكردية ، تطالب على الأقل بالحكم الذاتي المفروض بالأمر الواقع وترغب بالاستقلال إذا ما استطاعت بشكل من الأشكال التعامل مع الأتراك والتهديدات الأخرى . الكرد مهتمون بركوك ، حيث يعتبرونها منطقة كردية أخرى والنفط . إذا ما استطاعوا الوصول إلى تسوية بشأن قانون النفط وإستفتاء كركوك العام والحكم الذاتي ، فقد كسبوا ما أرادوا . إذا ما أنجزوا ذلك على حساب الاقليات في المنطقة الكردية فإن ذلك سيكون أمر مقبولاً تماماً .

"خسارة" أثناء "الفوز" ؟ أم "فوز" أثناء "الخسارة" ؟

كما تبين آنفاً في التحليلات السابقة عن إستراتيجية بوش ، فإن سيناريو هيمنة الشيعة على العراق لا تعتبر "خسارة" بالنسبة لإدارة بوش والولايات المتحدة وحلفاءها من منظور سياسي واقعي متجه . عراق منقسم تحت سيطرة الأحزاب الشيعية الدينية قد لا يكون مستقراً أو ديمقراطياً حقيقياً بالمعنى الذي تبحث عنه الولايات المتحدة منذ ٢٠٠٣ ، ولكن من منظور "واقعي" قد يكون أفضل من حمام الدم أو حرب أهلية مفتوحة .

وبمقدار ما يحصل السنة على منافع وسلطة كافية للتعيش مع الموقف ، فإن الحكومات السننية المجاورة للعراق قد تكون راغبة في التعايش مع النتيجة . وبمقدار ما يستطيع الكرد والشيعة الوصول إلى تسوية كافية بشأن الأموال والمناطق ، فإنهم سيقبلون النتيجة بتردد . لا ينبغي على الولايات المتحدة أن تقلق بشأن الجيب الكردي من أن يمثل مسؤولية إستراتيجية رئيسية أو مشاكل خطيرة مع الأتراك .

النتيجة النهائية قد تكون شكلاً من الهزيمة، تستطيع الولايات المتحدة أن تدعيها نصراً وإنسحاباً وتترك العراق بحيث لا تستطيع إيران أن تستغله بسهولة وربما يأخذ بالتحسن مع الوقت .

ولكن مثل هذه المرونة الشيعية تجاه الإستراتيجية الأمريكية المعلنة قد تفشل أيضاً من خلال عدة طرق حرجة.

• قد يستمر السنة بالمقاومة ، ويفعلون ذلك بمستوى أكثر شعبية وثباتاً ، وينظرون إلى الحكومة العراقية والأمريكية كأعداء مكشوفين . قوات الأمن العراقية قد تنقسم و/أو تكون أضعف

- من أن تسيطر على أمن المناطق العدائية ، وقد لا يستطيع الأمريكيان تحمل القتال في حرب أهلية مع الجانب الشيعي ، بالنظر لأهمية حلفاءها السنة .
- الصدر قد لا يكون مساوياً عقلياً ، كما هو الحال مع العديد من عناصر الميليشيات الشيعية والشيعة ضمن الحكومة . ربما إستوجب على الولايات المتحدة أن تقاوم قتالاً أوسع مما تستطيع كسبه ، طالما ، خصوصاً ، إن مثل هذه الأحزاب الشيعية قد تكون قادرة على الانتظار إلى نهاية الوجود الأمريكي حتى لو إنهمزمت تكتيكياً .
- قد يكون الكرد طامحين للمساومة والتسوية ، أو يتذمرون - ذاتياً عند التعامل مع الأتراك . هناك مقولة كردية قديمة تقول ، "ليس للكرد أصدقاء" بينما ينبغي أن تكون الحالة "ليس للكرد أصدقاء ، بضمنهم الكرد" .
- قد تكون إيران قادرة على إستغلال الوضع حتى لو أن الحكومة العراقية والأمريكان قد تعاونوا على أساس الأمر الواقع لهزيمة إستراتيجية للتمرد السني . على إيران أن تشعر الآن بأنها قادرة على الانتظار حتى نهاية تواجد الولايات المتحدة وإستغلال عدم شعبية الولايات المتحدة في عدة مناطق شيعية ، وعندها كل المبررات لأن تكون إنتهازية .
- إن إيران تسكب إلى حد ما حتى لو لم تستغل الموقف . العراق المسيطر عليه من قبل الشيعة سيحتاج إلى مساعدة إيران ودعمها لسنوات قادمة .
- قد ترغب الحكومات السننية بالتعايش مع عراق ذو هيمنة شيعية ، بدلاً من أن تواجه سنوات من عدم الاستقرار الإقليمي والحرب ، ولكن الشعوب السننية قد تختلف عن ذلك ، خصوصاً - بل

بالتأكيد- إذا كانت الحركات المتطرفة كالقاعدة تستغل الصراع كقضية أيديولوجية وسياسية .
إن إحدى الحقائق المتجهمّة في البحث عن الخيار "الأقل سوءاً" هي أنه حتى لو أن الولايات المتحدة إستطاعت إيجاد الخيار "الأقل سوءاً" وفعلته فإنه سيبقى "سيئاً" .

وحقيقة رئيسية أخرى هي أن الولايات المتحدة ، لم تعد تسيطر حتى على "الخطّة ألف"؛ الحكومات العراقية هي التي تسيطر عليها . إن خطّة إنسحاب بريطانيا قد تكون ببساطة، تحذيراً آخر من إن خطّة طوارئ العالم الحقيقية هي الخطّة ١، الخطّة التي يسيطر عليها و يشكلها صراع القوى الداخلية العراقية . على أي حال ، إذا ما فشلت إستراتيجية إدارة بوش ، فعلياً جميع الخطط القادمة ستشكلها الحروب والصراعات على السلطة بين العراقيين أنفسهم حيث سيكون على الأمريكيان الاستجابة للأحداث التي يشكلها كل من الأعداء "والحلفاء" على حد سواء .

إن إحدى الدروس التي لازال على كل من إدارة بوش ومختلف معارضي الولايات المتحدة ومنتقديها أن يتعلموها هي أنه بمستوى معين من الهزيمة ، فإن فاعلين آخرين سيسيطرون على الأحداث. إن المناقشات الدائرة في الولايات المتحدة الأمريكية اليوم عن الخطط والاستراتيجيات البديلة قد تصبح لا علاقة لها بالأحداث إلى حد كبير .